مجلة المورث مجلد: 07 عدد: 01 السنة 2026
ص: 279 - 292 ISSN:2710- 8503 EISSN:2992-1538

الإبداعات النقدية والأدبية في كتابات إيموهاغ المعاصرة.
– قراءة نقدية في أعمال مولود فرتوني–.

Critical and literary creativity in the contemporary writings of Imouhag's.
- A critical reading of the works of Mouloud Ferrtouni.

د. أحمد بوعافية[1]* Dr. Ahmed Bouafia
مخبر الموروث العلمي والثقافي لمنطقة تمنغست – جامعة تامنغست (الجزائر)
Scientific and cultural heritage laboratory of the Tamanghasset region -University of Tamanghasset- Algeria
bouafiaahmed.tam@gmail.com

تاريخ الإرسال:2026/02/06	تاريخ القبول:2026/03/12	تاريخ النشر:2026/05/30

ملخص البحث

يُعدّ توظيف الإبداعات النقدية والأدبية في كتابات إيموهاغ المعاصرة، لونًا من التجديد في صناعة فنون النقد والأدب بالصحراء الجزائرية، كونها تعتمد على حفريات الموروث الثقافي، وعوالِم الصحراء وفضاءاتها، مما يجعل من هذه الإبداعات عاملاً للمعرفة والتلقي، وإعادة إحياء التراثِ من جديد.

من الإبداعات النقدية والأدبية بصحراء الجزائر نجد أعمال الأديب مولود فرتوني أهمها: كتاب: (دراسة الشعر عند إيموهاغ كممارسة ثقافية)، إذ وقف المؤلف من خلال هذا الكتاب على ظاهرة الشعر عند المجتمع الطارقي، بالإضافة إلى عمله الثاني والمتمثل في: المجموعة القصصية (الأنكوفي)، حيث وظف في مضامينها مختلف فنون مجتمع الطوارق. إيمانا منه بأن الإبداعات الأدبية والنقدية للموروثات الثقافية أحد الأدوات المعاصرة في الحفاظ على التراث من الضياع والاندثار.

الكلمات المفتاح: نقد، أدب، طوارق، صحراء، جزائرية.

Abstract:

The use of critical and literary creativity in Imouhag's contemporary writings is a form of innovation in the art of criticism and literature in the Algerian desert, as it relies on excavations of the cultural heritage, the

* المؤلف المرسل: د. أحمد بوعافية، bouafiaahmed.tam@gmail.com

worlds of the desert and its spaces, which makes these creativity a factor for knowledge and reception, and the revival of heritage anew.

Among the critical and literary creations in the Algerian desert, we find the works of the writer Mouloud Ferrtouni, the most important of which is the book: (A Study of Poetry in Imouhag's as a Cultural Practice), in which the author examines the phenomenon of poetry in Touareg society, in addition to his second work, which is the short story collection (Al-Ankouffi), in which he employed various arts of Touareg society in its content. Believing that literary and critical creations of cultural heritage are one of the contemporary tools for preserving heritage from loss and extinction.

keywords : Criticism, Literature, Touareg, Desert, Algerian.

مقدمة:

عرفت الإبداعات النقدية والأدبية الجزائرية المعاصرة، تنوع ثقافي وثراء معرفي، بسبب انفتاحها على فضاءات وعوالم الصحراء الجزائرية، بما تحمله من زخم ثقافي ومعرفي وتاريخي، هذا الأمر ساعد في خلق حركة نقدية وأدبية ساهمت في إعادة إحياء أدب وثقافة الصحراء الجزائرية، من ذلك أدب إيموهاغ (الطوارق) الممزوج بعبق الثقافة والتاريخ وشعرية المكان الصحراوي.

إن المتتبع للشأن الثقافي يدرك محاولات المثقفين والأدباء إلى إبراز هذا النوع من الأدب، نظرا لخصائصه المميزة ومضامينه الفريدة، من هؤلاء نجد أعمال الأديب مولود فرتوني، أهمها: كتاب (دراسة الشعر عند إيموهاغ كممارسة ثقافية)، وكذا المجموعة القصصية (الأنكوفي– سيرة واحد من أولاد تاغزيت). حيث سعى المؤلف من خلال هذه المدونات إلى إبراز الموروث الثقافي والاجتماعي لمجتمع الإيموهاغ.

تأسيسًا على ما سبق، سأتطرق إلى تحليل ونقد هذه المدونات، وذلك برصد عناصرها ومكوناتها الثقافية، مع تقصي بنياتها ومضامينها.

– إشكالية البحث تتمثل في جملة من التساؤلات أهمها:

– من هو مجتمع الايموهاغ ؟.

- ما هي أشكال التعبير الشعري عند ايموهاغ ؟.
- ما أنواع فنون مجتمع الايموهاغ ؟.

- الهدف من هذا البحث:

- تقديم ماهية تاريخية وثقافية لمجتمع الإيموهاغ.
- معرفة أشكال التعبير الشعري عند الايموهاغ.
- التطرق لفنون مجتمع الإيموهاغ في القصة الجزائرية المعاصرة.
- إثراء الدراسات الأدبية والنقدية فيما تعلق بإبداعات مجتمع الإيموهاغ بالصحراء الجزائرية.

- أما بخصوص **مناهج البحث** فقد اعتمدت في هذه الورقة البحثية على المنهج التاريخي، والمنهج الوصفي التحليلي، باعتبار أن المنهج التاريخي يساعد في الكشف عن حقائق الماضي، باعتماده على المعلومة التاريخية ورصدها والتأكد من صحتها وتفسيرها، أما المنهج الوصفي التحليلي فهو يُستخدم في جمع المعلومة ووصفها وتحليلها.

1- نبذة تعريفية عن مجتمع الطوارق :

ذكر الأستاذ محمد عبد الرحمن عبد اللطيف في مخطوطه (الطوارق شعب الصحراء الكبرى)، مواطن الطوارق وهو من مثقفي طوارق النيجر، حيث يقول: "ويتكون موطن التوارق من الواحات والوديان التي تشق جبال تاسيلي (غات–جانت) والهقار (تمنغست) وآيير (أقدز) واضغاغ (كيدال) إلا أن الجزء الأكبر من التوارق يعيش في منطقة السهول والمراعي الفسيحة التي تسمى باسم (أزواغ) الممتدة من أعالي نهر السنغال غربا إلى بحيرة تشاد شرقا ومن أطراف المناطق الرملية إلى غابات السافانا جنوبا"[1].

الطوارق مجتمع كبير يسكن الصحراء الكبرى، يضيف الأستاذ محمد عبد الرحمن عبد اللطيف، ما نصه: "يسمي الطوارق أنفسهم باسم (ايموهاغ) وأصلها (إيموزاغ) جمع أمازيغ"[2].

كما يشير الحّجي آمي، في مخطوطه (ملخص عن تاريخ الصحراء)، أن "الشعب الطارقي شعب مسلم من أصل سامي احتفظ بهويته الحضارية الأصلية و (التماشاك) لغته الوطنية وحروف هذه اللغة تسمى (التافيناغ) تجعل منه أحد الشعوب الأفريقية النادرة التي تملك أبجدية نظيفة يرجع وجودها إلى ثلاثة آلاف سنة قبل ميلاد السيد المسيح تقريبا. كما تشهد على ذلك الكتابات والنقوش التي تمثل الصحراء وأفريقيا الشمالية..."[3].

الحدود الجغرافية لقبائل الطوارق متوزعة في القارة الافريقية عبر مجموعة من الدول، إذ "تنتشر مجموعات منهم ببوركينا فاسو ونيجيريا، ونستطيع القول إن وسط الصحراء الكبرى من مدينة غدامس ودرج في ليبيا وأوباري وغات إلى تمنغست بالجزائر وجانت وتيمياوين وبرج المختار على الحدود مع مالي إلى تينبكتو بمالي وإلى طاوة بالنيجر، وانقيقمي على بحيرة تشاد، وابشة في شرق تشاد. تتناثر قبائل التوارق في هذه الصحراء وتتفاوت بين الكثرة والقلة حسب تواجدها يجمعها الزي شبه الموحد: القميص الفضفاض والسروال الواسع والحذاء العريض المصنوع من جلد البعير والعمامة الكبيرة ذات اللثام الضيق حتى أصبح هذا اللثام علماً على التوارق فأسماهم العرب (الملثمون)"[4].

2- أشكال التعبير الشعري عند الطوارق (من خلال كتاب دراسة الشعر عند إيموهاغ كممارسة ثقافية للمؤلف مولود فرتوني):

القصيدة عند الطوارق هي تعبير شعري، يطلق عليها اسم (تَسَاوِيتْ) وجمعها (تِيسِيوَاي)، قد يكون الشعر شفويا أو مكتوبا بحروف اللغة التارقية المسماة (تفيناغ)، أما الشاعر فيطلق عليه اسم (أَمَسِيوَايْ)[5].

من موضوعات القصيدة الطارقية: المواضيع الاجتماعية والحربية والبطولية، بالإضافة إلى وصف فضاء الصحراء وما تعلق بها من جبال وحيوان وأمكنة...، أما الأغراض الشعرية عند المجتمع الطارقي فهي متنوعة كالغزل والمدح و الفخر والذم...

من خلال كتاب (دراسة الشعر عند إيموهاغ كممارسة ثقافية) تطرق مولود فرتوني إلى مجموعة من أشكال التعبير الشعري المرتبطة بفنون الشعر الطارقي، مع تحليله للقصائد وشرحها من خلال عملية الترجمة من الطارقية إلى العربية، سأتطرق إلى أهمها كما يأتي:

2-1- قصيدة الهدهدة (إصوضاس):

الهدهدة قطعة شعرية صغيرة تقوم الأم بترديدها من أجل تنويم طفلها، هذا التعبير الشعري متوارث عبر الأجيال، من أشهر هذه القطع نجد الآتي:

" بللولبا... بللولبا

أباراضين...برا إيضص

تمراولت أويد إيضص

بللولبا... بللولبا

وأنَّم يطس...واني يوقي

بللولبا... بللولبا

– تعريب القطعة الشعرية:

بللولبا... بللولبا (لفظة ليس لها شرح معروف)

صغيري يريد النوم

والأرنبة (أنثى الأرنب) تجلب النوم

بللولبا... بللولبا

صغيرك نام ...وصغيري أبى

بللولبا... بللولبا"[6]

نلاحظ أن المجتمع الطارقي اهتم كثيرا بالحيوان على غرار الأرنب، مما جعلهم ينظمون قطع شعرية يخاطبون بها هذا الحيوان.

2-2- قصيدة الفخر (من قصائد تيندي):

"كَلاَ اَتِّلِيغْ نرِهي اِمَانِينْ

كَانَغْ اِقْبَاسْ يَارَقَّانِينْ

تَوْلِيوَلَغْ اَتَبشانِينْ

تَالْيَضْ نْنهي أَدَنَّغْ تَانِينْ

– تعريب القطعة الشعرية:

كنت أعرف بحب نفسي

أعدل نياط جملي

مفتخرا بشعري الطويل

وكل فتاة أراها أقول أنها ملكي"[7].

هذه القصيدة من باب الفخر، وحسب مؤلف الكتاب فإن صاحب القصيدة مجهول وكل ما يُعرف عنه أنه من تمسنا وهي منطقة شمال دولة النيجر أغلب سكانها من الطوارق، أما التيندي فهو نوع غنائي معروف عند الطوارق، حيث أن النساء يغنين ويعزفن أما الرجال فيرقصون على ظهور جمالهم.

2-3- قصيدة الذم:

"نَشْشَشْرَايْتَتْ تَامْغَارِتْ تِغْلاَتْ

أَنْ تَلْجَاهَلتْ لَشَتْ تَخْلاَتْ

وَرثْهَا الدين الخط تَقْلاَيتْ

وَرْهَاسْ تغَرْد الله تَكشَارْتْ

أَوَا يَنَّا غَرَدْ تِنْكَارْتْ

وَرْتَرْهَا الخير والشر تُوَّايتْ

إِهِيتْ مُنْكَرْ دَلمْنْكَارَاتْ

– تعريب القطعة الشعرية:

تركناها لعجوز شمطاء

جاهلة وبشعة وعاصية

لا تحب الدين

ولا تحب من يذكر لها اسم الله

وما يقوله سبحانه كله تنكره

لا تحب الخير والشر تفعله

ذات منكر ومناكر....."[8]

لم يذكر مولود فرتوني اسم مؤلف القصيدة، واكتفى بأنه شاعر من برج باجي مختار، هذه القصيدة من باب الذم وهو من الأغراض الشعرية الموجودة في قصائد الطوارق، حيث أن الشاعر ذم امرأة، والملاحظ هنا أن الطارقي يربط الذم بمساوئ الأخلاق كالعصيان و الشر، والخروج عن تعاليم الدين.

2–4– قصيدة الجاقمي:

"إِيديَان إِيدُوهَنَا

أَبقِّيْ وَان تِيلمْسِي

إِيْتَاقن تِوْشيوْشاَ

محمد وَانْ كِيلاَ غَلاَ

إِيْسَّاري بَكا أقلاَ

إِلىَ آيَسْ إِلىَ آغْبَا

إِيديَان إِيدُوهَنَا

- تعريب القطعة الشعرية:

إِيديَان إِيدُوهَنَا (مقطع صوتي الغاية منه الحنية)

ذئب منطقة تيلمسي[9]

يقوم بحيله

محمد المنتسب إلى كيل غلا[10]

ذاهب إلى منطقة أقلا بمالي

يملك حصانا له سرجا جميلا

إِيديَان إِيدُوهَنَا (إعادة المقطع الصوتي)"[11].

هذا المقطع من المقاطع الراقصة الخفيفة، وبالرغم من أن معانيه بسيطة، لكن الهدف منه الترويح عن النفس. حيث أن رقصة الجاقمي، كانت تستخدم لتشجيع الرجال على الحروب، لكنها الآن أصبحت تستخدم كثيرا أثناء الأفراح والأعراس.

2-5- قصيدة الإمزاد

"إِهَانْ نَنَغْ.... إِهَانْ نَوَنْ

إِهَانْ نَنَغْ..... إِهَانْ نَسَنْ

***

وَادَغْ نَلْمَظْ آرْ نِقِّيْمَنْ

نَقَّالْ يخْبَلْ آرْ هِيدمّرْ

يَنْقَاضْ الشَّاش أدْ يسَّنْسرْ

يُباكْ أُلْهِينْ آهِدزجرْ

- تعريب المقطع:

ديارنا....دياركم

ديارنا ....ديارهم

لوقت المغرب ونحن جلوس

ننتظر(يخبل) لكي يمر

إنه يضع اللثام وضعا تاماً

يكاد قلبي يخرج لرؤيته..."[12].

تبتدأ قصيدة الإمزاد (ترنيمة الحب والحزن) بمقدمة طللية: (ديارنا....دياركم. ديارنا....ديارهم)، هذا المقطع فيه دلالة على حب الأوطان، والتكاتف بين أفراد المجتمع، حيث أن ديار قبائل الطوارق كلها بمثابة دار واحدة، كما تعتبر آلة الإمزاد من الآلات الموسيقية العتيقة والمحبوبة عند الطوارق، من خصوصياتها أن تعزف عليها إمرأة.

3- خصائص قصيدة الإيموهاغ:

تضم قصيدة الإيموهاغ مجموعة من الخصائص نجملها في ما يلي[13]:

- لسان القصيدة باللغة الطارقية.
- حروفها مكتوبة بأبجدية تيفناغ.
- تقصيد القصيدة يعتمد على نظام الشطر الواحد. كون المعنى يكتمل في كل شطر.
- الشعر عند الطوارق أغلبه أدب شفوي ينتقل من جيل لآخر عن طريق المشافهة.
- القصيدة الطارقية تتزاوج ألفاظها بين العربية والطارقية.
- تعدد الأغراض الشعرية في قصيدة الايموهاغ من ذلك: المدح والذم والوصف والفخر بالأمجاد والبطولات، وكذا التشبيب،... وغيرها من الأغراض.
- الشعر الطارقي في تشبيهاته وأوصافه لا يبتعد عن الصحراء وما تعلق بها .
- يجمع الطارقي بين الشعر و الغناء، والآلات الموسيقية، ولعل أهم آلة موسيقية عند الطوارق هي آلة الإمزاد.

4- فنون الطوارق في القصة الجزائرية القصيرة، المجموعة القصصية (الأنكوفي- سيرة واحد من أولاد تاغزيت) لمولود فرتوني أنموذجا:

إن دراسة هذا الفن مازالت في بداياتها دراسةً وتحليلاً، ولأن إعادة إحياء الفنون الثقافية باتت أحد اهتمامات الدارسين والمؤرخين، كونها تقنية حداثية إبداعية تهدف إلى غايات معرفية محددة، لذلك عمَد الكثير من المثقفين والأدباء إلى إبراز هذا النوع من الفنون التراثية في الأعمال الأدبية كالشعر والرقصات الشعبية وفن الموسيقى...وغيرها، نظرا لخصائصه المميزة، حيث سنعرض أهم أنواع الفنون عند الطوارق في هذه المجموعة القصصية، كما سيأتي:

4-1- الشعر الطارقي الملحون:

من أمثلة ذلك ما ذكره المؤلف في قصته (إمزاد تاداويت)، ما نصه: "أثبتت الحوارات الجانبية التي كانت تسود في ساحة (آهال) بعدما نطق إمزادها. سكت الجميع لأن تاداويت ستعزف مقطع (سنبير) أصعب مقطع في إمزاد.. سكت الجميع فقالت مرافقةً للحنها السجي:

لقد جاء مولا مولا بالبشارة

ولسوف يهطل المطر

وتسقى الروابي البعيدة

وتسيل الوديان ونعود لأرض البدايات مرة ثانية"[14]

طائر (مولا مولا)، هو طير صغير يعلو رأسه بياض، وله صوت جميل، فهو من الطيور المعروفة في أراضي الهقار والطاسيلي وشمال النيجر، حيث يعتقد بعض ساكني هذه الأقاليم أنها تبشر بالخير عند رؤيته في الصحراء، فهو بشير للأمطار والوديان، والخضرة والنماء، إذ نلاحظ أن شعر الطوارق يستمد مادته من الواقع والطبيعة والصحراء، مع كثرة التصوير، والوصف ودقة التعبير.

4-2- الرقصات الشعبية عند الطوارق:

بمجتمع الطوارق مجموعة من الرقصات الشعبية، أهمها: رقصة التيندي، ورقصة تاكوبا، ورقصة تيضما، وغيرها من الرقصات الشعبية، حيث تطرق المؤلف إلى مجموعة من الرقصات الشعبية في مجموعته القصصية (الأنكوفي)، نسردها كما يلي:

4-2-1- رقصة التيندي: نوع غنائي معروف عند الطوارق، تقام هذه الرقصة في الأفراح والمناسبات، حيث أن النساء يُشكلن حلقة دائرية وسط الصحراء، ويغنين ويضربن على التيندي المصنوعة من وعاء خشبي مغطى بجلد حيوان، يُثبت هذا الإناء على عودان خشبيان غليظان، حيث تجلس فتاتين على العودان، كل فتاة على طرف من أجل تثبيته، بينما تضرب فتاة أخرى على التيندي بعدما تضع على الجلد قطعة من القماش، وترش عليه الماء، وتتواصل عملية رش الماء أثناء الغناء، أما الرجال فيرقصون على ظهور جمالهم.

أشار مولود فرتوني لهذا الفن في قصته (جميلة العشيات)، قائلاً: "بدأت عشية تيندي (تاكظت ان تيندي) واصطفت الفتيات وكلهن أمل أن تظفر إحداهن بجميلة العشية وكانت هذه العادة تقام في المواسم الاحتفالية في الصحراء الكبرى"[15]، والملاحظ في هذا الشطر أن الطوارق محافظين جدا على الاحتفاليات الموسمية وما فيها من طقوس وعادات وتقاليد.

علما أن رقصة التيندي تستعمل لأغراض متعددة منها طرد الشياطين وشفاء المصاب من المس، وعلاج لدغات العقارب والأفاعي، وكذا مسابقات اختيار حسنوات الموسم...وغير ذلك.

4-2-2- رقصة تاكوبا: من الرقصات التراثية عند الطوارق، وتسمى أيضا برقصة السيف، معروفة في منطقتي الأهقار والطاسيلي، وبعض أقاليم تواجد الطوارق. حيث أنها رقصة حربية يؤديها الرجال في المواسم الاحتفالية، والأعياد والأفراح، وهي تعبر عن المعارك والحروب والانتصارات البطولية والحفاظ على شرف القبيلة.

عنون مولود فرتوني إحدى قصصه بعنوان (تاكوبا)، يقول فيها:" راقبت الأم ابنها الشارد في ذلك المساء، وسألته أكثر من مرة ولكنه لم يجبها بما يقنع، كان يُخرج سيفه ويمسحه ثم يعيده لغمده، ويضعه بقرب عدة المحارب بعدما كان يُعلقه بجانبه وينام، ...حتى ذلك المساء الذي امتشق فيه سيفه وامتطى جمله، وانطلق يطارد أمرا ما...دخلت خيمتها والتزمت الصمت، أما هو فعُد مفقودا هو وسيفه وعدة حربه، وهو ما لم يحدث في أسلافه، لأنهم كانوا يجدون العُدة والجمل"[16].

من خلال هذا المقطع نلاحظ أن:

- العنونة مصدر للتأويل، كونها إشارة سيميائية وعتبة النص الأولى وعنصر هام في تشكيل الدلالة، وهي بذلك علامة تواصلية تساعد في معرفة أنساق النص.
- نص القصة يُساءل القارئ عن سبب اختفاء الابن، وبذلك فإن المؤلف اعتمد على التأويل في توليد المعاني.
- بعد استنطاق الأنساق المضمرة في النص يتبين لنا بأن رقصة (تاكوبا) هي شكل من أشكال التعبير المسرحي الراقص، تهدف إلى التعريف بالموروث الثقافي والتاريخي لمجتمعات الطوارق.

4-2-3- رقصة تڤيضما: من الرقصات الشعبية، كانت تقام من أجل التداوي من الصرع وشفاء المجنون، يرجع أصولها إلى قبائل (تمسنا) بالنيجر. لكن تمازج الثقافات بين قبائل الصحراء الكبرى ساهم في وجود رقصة تڤيضما بأرض الهقار. يقول عنها فرتوني ما نصّه: "تم التفاعل مع رقص أغنية تـڤيضما، وأصبحت رقصة للتداوي من الصرع المؤقت وشهدتُ ذلك في حي أنكوف القديم (أنكوف فلسطين+ لهمريمش) بداية من منتصف الثمانينات حتى نهاية التسعينات، وكانت تقام سهرات أو أمسيات للمصروع أو المجنون حسب ما يطلق عليه...وكانت تقام له حفلة رقص ويُجبَر كل من يتقدم للحلقة على التصفيق أو التفاعل وإلا سينال من سوط المصروع أو المصروعة. وأول ما عرفناها في (أنكوف فلسطين) هو أن

يقال لنا فلان مجنون. نذهب لمكان إقامة الحفلة، لنجد رجلا يضع قبعة على هيئة الأقنعة الإفريقية ولكنها مصنوعة من القطن...يتدلى منها عرف حريري بطول خمسين سنتيم أو أكثر، ورغم أن الرقصة تؤدى بمشقة إلا أنها ممتعة وتجلب الفرجة"[17].

نستنتج من هذا المقطع ما يلي:

– إيمان قبائل الطوارق والقبائل الإفريقية بتحرير القدس وكل الأراضي الفلسطينية. والشاهد في ذلك تسمية العديد من الأحياء والشوارع بأقاليم الصحراء الجزائرية على اسم فلسطين.

– الكثير من الثقافات الشعبية الموجودة في إفريقيا انتقلت إلى الأقاليم الجزائرية، من تلك الثقافات (رقصة تـشيضما) والتي يرجع أصولها إلى إفريقيا.

– في مجتمعات الصحراء تظهر الكثير من الحالات التي لا يجد لها الإنسان حلاً أو تفسيراً، مما يجعلهم في حيرة من أمرهم، ونظرا لعدم وجود أجوبة كافية وشافية عن حالات الصرع والجنون، فإنهم ينسبونها إلى العالم الخفي فيُقيمون لها طقوس ورقصات من أجل البرء والتداوي، "إن الغموض الذي يكتنف عالماً فسيحاً ومجهولاً كعالم الصحراء لا بد أن يطلق العنان لمخيلة الإنسان، فتتراءى له الأشياء على صورتها الحقيقية. ولعل هذا قد يكون تفسيراً لظهور الحكايات التي تدور حول القوى الخفية التي يقوى الاعتقاد بها في المجتمعات البدائية"[18].

4–3– الآلات الموسيقية عند الطوارق:

الآلات الموسيقية متنوعة بأقاليم الطوارق، إذ أن لكل آلة رقصتها ومجالها وغرضها، من أهم الآلات الموسيقية عند الطوارق، نجد: القيثارة، إمزاد، تيزمار..وغيرها.

سأتطرق إلى نموذجين من الآلات الموسيقية في مجتمع الطوارق، وهما القيثارة والإمزاد كما يأتي:

4–3–1– القيثارة: هي آلة موسيقية يستعملها الطوارق في الأفراح والمناسبات، لها نوعان: قيثارة خشبية، والأخرى كهربائية. كلاهما يستعملان في العزف والغناء بمجتمعات الطوارق. حيث تطرق فرتوني إلى القيثارة في مجموعته القصصية في قصة عنونها بـ: (أڤيو)، يقول فيها ما نصّه: "جلست الطفلة (نانة) وسط الحلقة وهي تحاول أن تستمع لموال كان يردده (أڤيو)، والذي جاء به خالها بعدما غاضبته زوجته. لأن (أڤيو) هو فنان يحمل قيثارته من بعض مهامه أن يغني أغاني لأجل الإصلاح بين المتخاصمين ويتغنى بخصال الزوج واحترامه للمرأة. كما يذكر ويتغنى بخصال المرأة الطائعة في جو احتفالي داعيا لإعادة الأمور لمجاريها بين الزوجين"[19].

نستشف من هذا المقطع السردي ما يلي:

– إن توظيف أسماء الشخصيات الشعبية في النص المعاصر، يعتبر تجسيد فني حداثي يساعد في شدّ انتباه المتلقي من جهة، ومعرفة وظائف الشخصيات داخل مجتمعات الطوارق من جهة أخرى، لذلك يقوم الأسلوب التقريري على تقديم الشخصية من خلال وصف أحوالها وعواطفها وأفكارها، بحيث يحدد ملامحها العامة، ثم يقدم أفعالها بأسلوب الحكاية، ثم يعلق ويحلل على مختلف الأحداث[20].

– من المظاهر السوسيولوجية بمجتمعات الطوارق والتي ذكرها المؤلف إصلاح ذات البين بواسطة الغناء والعزف الموسيقى، وفي هذا دلالة على أهمية تجسيد المبادئ الإنسانية كالتصالح والتسامح بين أفراد المجتمع الطارقي.

4-3-2- الإمزاد: من الآلات الموسيقية العتيقة والمحبوبة عند الطوارق، تشبه الربابة العربية، مصنوعة من وعاء خشبي مغطى بالجلد، وفيها وتر واحد مصنوع من شعر ذيل الحصان، يُعزف عليها بواسطة قوس خشبي مصنوع أيضا من شعر ذيل الحصان، تُعزف الإمزاد في حالات الفرح والحزن، من خصوصياتها أن تعزف عليها إمرأة، وأن لا يلمسها الرجل فهي من المحرمات عليه، لاعتقادهم بأنها منقصة للرجال، أو تحل عليه اللعنة.

أشار فرتوني للأمزاد في قصته (إمزاد تاداويت) بقوله: "أثبتت الحوارات الجانبية التي كانت تسود في ساحة (آهال) بعدما نطق إمزادها. سكت الجميع لأن تاداويت ستعزف مقطع (سنبير) أصعب مقطع في إمزاد... "[21].

من خلال هذا المقطع نلاحظ أهمية الغناء والعزف عند مجتمع الطوارق، فهو حاضر في سلمهم وحربهم، حِلهم وترحالهم، أفراحهم وأحزانهم.

خاتمة:

من خلال البحث في هذا الموضوع أختمه بجملة من النتائج المتوصل إليها، كما يلي:

– أقاليم الإيموهاغ رافدا من روافد الحركة الثقافية والأدبية بالصحراء الجزائرية.

– ثقافة الشعر عند الإيموهاغ، ثقافة ضاربة في عمق تاريخ الإنسان الطارقي.

- أشعار الإيموهاغ ساهمت كثيرا في إثراء الحقائق التاريخية والثقافية، وتوجيه الناشئة ونشر الفضائل والحكمة والمعرفة وترسيخ الهوية الثقافية والحضارية.

- للشعر الطارقي مجموعة من الخصائص مما يجعله متميزا في طريقة صناعتة للقصيدة.

- يعتبر توظيف فنون الطوارق في الأعمال الأدبية الجزائرية مرحلة من مراحل بدايات الإبداع الأدبي والفني.

- ساهم توظيف الموروث الثقافي لمجتمعات الطوارق في ازدهار فنيات النصوص القصصية من حيث الشكل والمضمون، البناء والدلالة.

- قصص عوالم الإيموهاغ تحمل في مضامينها دلالات عميقة ومعاني صادقة، كونها نابعة من حياة ومجتمع الفرد الطارقي.

- للمحافظة على الموروث الثقافي الطارقي يستدعي منا تدوينه وتصنيفه وإعادة بعثه من جديد.

- نُشيد بالدور الفعال للمهتمين بثقافة الإيموهاغ من خلال كتاباتهم النقدية والأدبية، الثقافية والتاريخية.

هوامش:

1- محمد سعيد القشاط، التوارق عرب الصحراء الكبرى، (1989)، ط 02، مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء، د.ب، ص:17

2- المرجع نفسه، ص: 28

3- نفسه، ص:30/29.

4 - نفسه، ص:17

5 - ينظر: مولود فرتوني، دراسة الشعر عند إيموهاغ كممارسة ثقافية، (2021)، ط 01، بياض للنشر والتوزيع، الجزائر، ص: 39/38.

6- المصدر نفسه، ص: 55 /56

7- نفسه، ص: 57

8 - نفسه، ص: 59/58

9 - تيلمسي: منطقة في دولة مالي

10 - كيل غلا: قبيلة الأمنوكال في أهقار - نبلاء قبيلة الأهقار-

11 - مولود فرتوني، دراسة الشعر عند إيموهاغ كممارسة ثقافية، (المصدر)، ص: 62/61

12 - المصدر نفسه، ص: 63-66

13 - ينظر: المصدر نفسه، ص: 38-45

14 - مولود فرتوني، مجموعة قصصية، الأنكوفي (سيرة واحد من أولاد تاغزيت)، (2023)، ط 01، مؤسسة خطوة للنشر والتوزيع، الجزائر، ص: 49.

15 - المصدر نفسه، ص: 43.

16 - نفسه، ص: 50.

17 - نفسه، ص: 26.

18- محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة- دراسة- ، (2002)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ص: 219.

19 - مولود فرتوني، الأنكوفي (سيرة واحد من أولاد تاغزيت)، (المصدر)، ص: 45.

20 - ينظر: محمد عزام، شعرية الخطاب السردي، (2005)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ص: 19.

21 - مولود فرتوني، الأنكوفي (سيرة واحد من أولاد تاغزيت)، (المصدر)، ص: 49.

- قائمة المصادر والمراجع:

01 - محمد سعيد القشاط، التوارق عرب الصحراء الكبرى، (1989)، ط 02، مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء، د.ب.

02 - مولود فرتوني، دراسة الشعر عند إيموهاغ كممارسة ثقافية، (2021)، ط 01، بياض للنشر والتوزيع، الجزائر.

03 - مولود فرتوني، مجموعة قصصية، الأنكوفي (سيرة واحد من أولاد تاغزيت)، (2023)، ط 01، مؤسسة خطوة للنشر والتوزيع، الجزائر.

04 - محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة- دراسة-، (2002)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق.

05 - محمد عزام، شعرية الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، (2005)، دمشق.